بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد فقال بعض المفسرين
وهو المراد بقوله تعالى وفصل الخطاب وقوله تعالى هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب
وقوله هذا وإن للطاغين لشر مآب ومنه قول المؤلفين في كتبهم هذا باب كذا
وممن ختم كتابه بذلك سيبويه رحمه الله تعالى وهذا القدر كاف وقد قدمنا منه
شيئا في أول الكتاب فلنرجع إلى البيت الناظم وبهاء النظم فيه لظاهر من
كونه مدح في النظم الأول قصيدة ثم صرف مضمنها في الشطر الثاني إلى
مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم **اللغة** قوله من كل معربة المعرب هو
المبين وهو اسم مفعول من قولهم أعرب فلان عن حاجته إذا أبان عنها
وفلان عربي اللسان إذا كان فصيحا قوله الألفاظ هو جمع لفظ وقد تقدم
بيانه قوله معجمة المعجم هو المنقوط من الحروف وهو اسم مفعول يقال
أعجمت الكتاب إذا نقطته ومنه حروف المعجم وهي حروف التهجي
سؤال إن قيل المعجم منها بعضها فكيف نعتت كلها بالإعجام **فالجواب**
إن أكثرها معجم فتبع الأقل الأكثر في التسمية وهذا شأن التغليب قوله
من ينعها الزينة اسم جامع لما يتزين به تقول زانه الحسن يزينه زينا وزينة
قوله مدح المدح هو الثناء بالخير قوله العرب هم العرب العاربة أي الصرحاء
فائدة أصل اللسان العربي من يعرب بن قحطان قال القتيبي وأهل
اليمن من ولد يعرب وهم أصل اللسان العربي وكان يعرب أول من تكلم بالعربية
حين تبلبلت الألسن بأرض بابل وسار حتى نزل اليمن في ولده ومن اتبعه وأهل
بيته ثم نطق من بعده على لسانه وشبهه حتى نشأ الحميري ثم جرهم ثم
عمليق ثم لخم وجذام قال الأصمعي فلما نشأ إسماعيل بالحرم
وهو طفل وانبط له زمزم مرت به رفقة من جرهم فرأوا ما لم يكونوا يعهدونه
وأخبرتهم

وأخبرتهم هاجر بنسب الصبي وحاله وما أمر الله به أباه فيه وفيها فنزلوا
فتبركوا بالمكان ونزلوه وصاهروا إليهم إسماعيل فنشأ معهم ومع
ولدانهم ثم أنكحوه فتكلم بلسانهم فقيل نطق بالعربية أي بلسان يعرب بن قحطان
قال والدليل على أن أصل اللسان لليمن أنهم يقال لهم العرب العاربة ويقال لغيرهم
العرب المعربة أي الداخلة في العرب المتعلمة منهم وهذا شأن التفعل في
اللغة يقال تنزر إذا دخل في نزار وتمضر إذا دخل في مضر وتقيس إذا دخل في قيس
قوله والعجم العجم هم الذين ليسوا من العرب وإذا انتسبت إليهم قلت عجمي
وإذا انتسبت إلى العجمة قلت أعجمي وهو الذي لا يفصح **ومعنى البيت**
أن الناظم رحمه الله تعالى أخبر أنه بعث مطايا عزمه واقتصر على ذلك وهي
مثقلة بالقوافي التي هي جواهر كلمه الملتقطة من لجة فكره يؤم بها
المجد والكرم الموصوف الفضول إذ هي أعظم المناجح وأنفسها وأن
ألفاظها معربة فصيحة عربية ثم أعقب ذلك بوصفها بالإعجام
وهذا ينافي وصفه إياها بالإعراب فلتت يخرج على أحد وجهين
الوجه الأول أن يكون هذا على حد قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث
وهو أنه سبحانه وتعالى وصف الذكر بالحدوث والذكر قديم لأنه صفة
القديم فيرجع إلى التنزيل لا إلى الذكر وهذا هو مذهب صاحب البردة بقوله
آيات حق من الرحمن محدثة قديمة صفة الموصوف بالقدم
فكذلك كلام الناظم وذلك أنه لما ضمن قصيدته على البديع وهو علم لا يتوصل
إليه إلا بإعمال الفكر فيه ومن فقه النظم صارت معجمة المعاني بحسن النسبة
وإن كانت ألفاظها معربة والوجه الثاني أن معانيها الموصوفة ألفاظها
عن توفية أوصاف الممدوح بما لا خفاء لا يحاط به كما قال الشاعر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)